قربة الماء

بعد ظهر أحد الأيام..

كانت الشَّمسُ تبتعدُ غربَ السَّماءِ مرسلةً شعاعها بكلِّ هدوءٍ. ورغم أنّه لم يتبقَّ لغروبها أكثر من ساعة؛ لكنّ حرارتها بقيت على حالها. وقفت عجوزٌ محنيّة الظهر أمام **بئرِ ماءٍ**، وسحبتِ الحبلَ لإخراجِ دلو الماء بمشقةٍ كبيرة.

اقترب عددٌ من الرجال من البئر، وقد بدا على وجوههم التي كانت ترشح عرقاً التعب والنصب بعد يومٍ طويلٍ من العمل. كانتِ العجوزُ لا تزالُ تحاولُ إخراج دلو الماء، عندما تقدّم **النبي** (صلّى الله عليه وآله) من بين جمعِ الرجال نحوها، وقالَ لها بكلِّ أدبٍ واحترام:

"يا أمّاه! دعيني أساعدك"

نظرتِ العجوزُ إلى **النَّبي** (صلّى الله عليه وآله) بمحبةٍ. أخذَ **رسول الله** (صلّى الله عليه وآله) الحبلَ منها وأخرجَ دلوَ الماء. وأفرغَ ماء الدلو في قربةِ العجوز، ثمَّ رمى الدلو في البئر مرةً أخرى. وهكذا، ما هي إلا دقائق معدودة، حتى امتلأت قربة العجوز بالماء الصافي والبارد.

زحزحتِ العجوزُ القربةَ مسرورةً، وأقامت ظهرها بصعوبةٍ بالغة كي تضعَ القربة على كتفها. اقتربَ **النبي** (صلّى الله عليه وآله) منها مرةً ثانية وقال:

"أمّاه! دُلّيني على بيتِكِ. سوفَ أحملُ لك القربة".

شكرتِ العجوزُ **النَّبي** (صلّى الله عليه وآله) مرةً أخرى، وانطلقتْ على مهلٍ، محنيَّةَ الظَّهرِ. وضعَ **رسول الله** (صلّى الله عليه وآله) القربةَ على عاتقِه، وانطلَقَ خلفها. بعد لحظات، وصلا إلى خيمةِ العجوز. وضع **النَّبي** (صلّى الله عليه وآله) قربة الماء على الأرض أمام الخيمة، وودّع العجوز. دخلت العجوز خيمتها. كان ولدها الذي ذهب في الصباح الباكر للعمل في الصحراء، قد رجع لتوه وقد جلس إلى جانب الخيمة متعباً، فقالت العجوز له: "اذهب وأحضر قربة الماء إلى داخل الخيمة"

خرج الولد من الخيمة، وبعد برهة عاد إلى داخل الخيمة وهو يحمل القربة، قائلاً: "أمّاه! كيف استطعت إحضار هذه القربة الثقيلة؟"

قالت العجوز: **"حضر عدة رجال إلى البئر. فملأ أحدهم ليّ القربة وحملها إلى هنا".**

خرج الشَّاب من الخيمة ورأى عدَّة رجالٍ على مسافة ليست ببعيدة. ركضَ نحوهم كي يشكرهم؛ لكن عندما وصل إليهم، جمد في أرضه متعجبًّا. لقد عرفَ الشاب **النبي** (صلّى الله عليه وآله) وأصحابه. رجع الشاب كي ينادي أمّه؛ لكن العجوز كانت قد أتت خلفه. قال الشَّاب لأمّه خجلاً:

"أمّاه، إنّه نبي الله محمد (صلّى الله عليه وآله)**"**

اغرورقت عيون الشاب والعجوز بالدموع، وبدآ يشكران **النَّبي** (صلّى الله عليه وآله) مراراً وتكراراً.

قال **رسول الله** (صلّى الله عليه وآله) وقد ارتسمت بسمة على شفتيه:

"إنكما لمن الشرفاء، فأنتما تشقيان كثيراً لتأمين رزقكما الحلال من طريقِه الصَّحيح، فليحفظكما الله!".